مختارات من الخطب المنبرية الرمضانية

خصائص شهر رمضان المبارك

لمعالي الشيخ العلامة

صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

خصائص شهر رمضان المبارك[1]

الحمد لله يخلق ما يشاء ويختار، وأشهد أن لا إله إلَّا الله الواحد القهار، وأشهد أن محمَّدًا عبده ورسوله النَّبي المختار ﷺ وعلى آله وأصحابه البررة الأطهار، صلاة وسلمًا دائمين متعاقبين بتعاقب اللَّيل والنَّهار، أمَّا بعد:

أيُّها النَّاس: اتقوا الله تعالى، واشكروه، إن الله سبحانه بعلمه المحيط بكل شيء وبحكمته البالغة يختار ما يشاء من مخلوقاته، فيفضل بعضها على بعض، يفضل بعض البشر وبعض الأمكنة والأزمنة على بعض، ومن ذلك تفضيله شهر رمضان على غيره من الشُّهور، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾[البقرة: ١٨٥].

وقد فصَّل النَّبي ﷺ خصائص هذا الشَّهر في الحديث الَّذي رواه ابن خزيمة والبيهقي[2] عَن سَلْمَان رضي الله عنه، قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ الله ﷺ آخِرِ يَوْمٍ مِن شَعْبَانَ، فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ أَظَلَّكُمْ شَهْرٌ عَظِيمٌ مُبَارَكٌ، شَهْرٌ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، شَهْرٌ جَعَلَ الله صِيَامَهُ فَرِيضَةً، وَقِيَامَ لَيْلِهِ تَطَوُّعًا، مَن تَقَرَّبَ فِيهِ بِخَصْلَةٍ مِن خِصَالِ الخَيْرِ كَانَ كَمَنْ أَدَّى فَرِيضَةً فِيمَا سِوَاهُ، وَمَن أَدَّى فِيهِ فَرِيضَةً كَانَ كَمَنْ أَدَّى سَبْعِينَ فَرِيضَةً فِيمَا سِوَاهُ، وَهُوَ شَهْرُ الصَّبْرِ، وَالصَّبْرُ ثَوَابُهُ الجَنَّةُ، وَشَهْرُ المُوَاسَاةِ، وَشَهْرٌ يُزَادُ فِيهِ الرِّزقِ فِيهِ، وَمَنْ فَطَّرَ فِيهِ صَائِمًا كَانَ مَغْفِرَةً لِذُنُوبِهِ، وَعِتْقَ رَقَبَتِهِ مِن النَّارِ، وَكَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ مِن غَيْرِ أَن يَنْقُصَ مِن أَجْرِهِ شَيْءٌ»، قَالُوا يَا رَسُولَ الله لَيْسَ كُلُّنَا يَجِدُ مَا يُفَطِّرُ الصَّائِمَ؟، قَالَ ﷺ: «يُعْطِي اللهُ هَذَا الثَّوَابَ لِمَن فَطَّرَ صَائِمًا عَلَى مَذْقَةِ لَبَنٍ، أَوْ تَمْرَةٍ، أَوْ شَرْبَةِ مَاءٍ، وَمَن سَقَى صَائِمًا سَقَاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِن حَوْضِي شَرْبَةً لَا يَظْمَأُ بَعْدَهَا أَبَدًا حَتَّى يَدْخُلَ الجَنَّة، وَمَن خَفَّفَ عَن مَمْلُوكِهِ فِيهِ غَفَرَ اللهُ لَهُ، وَأَعْتَقَهُ مِن النَّارِ، وَهُوَ شَهْرٌ أَوَّلُهُ رَحْمَةٌ، وَأَوْسَطُهُ مَغْفِرَةٌ، وَآخِرُهُ عِتْقٌ مِن النَّارِ، فَاسْتَكْثِرُوا فِيهِ مِن أَرْبَعِ خِصَالٍ: خَصْلَتَيْنِ تُرْضُونَ بِهِمَا رَبَّكُمْ، وَخَصْلَتَيْنِ لَا غِنَى بِكُمْ عَنْهَا، أَمَّا الخَصْلَتَانِ اللَّتَانِ تُرْضُونَ بِهِمَا رَبَّكُمْ: فَشَهَادَةُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَتَسْتَغْفِرُونَهُ، وَأَمَّا الخَصْلَتَانِ اللَّتَانِ لَا غِنَى بِكُمْ عَنْهَا: فَتَسْأَلُونَ اللهَ الجَنَّةَ، وَتَتَعَوَّذُونَ بِهِ مِن النَّارِ».

(١) ينظر/ الخطب المنبرية في المناسبات العصرية للمؤلف (١/ ٦٠ ـ ٦٢)

(٢) سبق تخريجه.



أيُّها المسلمون: في هذا الحديث الشَّريف بيان خصائص هذا الشَّهر المبارك، فقد وصفه النَّبي ﷺ بأنَّه شهر عظيم مبارك، وهذان الوصفان يطغيان عليه ميزة خاصة على غيره من الشُّهور، فكل لحظة من هذا الشَّهر تتصف بالعظمة والبركة، بركة في الوقت، وبركة في العمل، وبركة في الجزاء. وأخبر ﷺ أنَّ فيه ليلة القدر، وهي خير من ألف شهر، فمن مزايا هذا الشَّهر اشتماله على هذه اللَّيلة العظيمة الَّتي لا توجد في غيره، تلكم اللَّيلة الَّتي وصفت في القرآن بأوصاف عظيمة، فهي اللَّيلة الَّتي أنزل فيها القرآن.

كما قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾[القدر: ١] وقد صحَّ عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أنَّ القُرْآن أُنْزِلَ جُمْلَةً وَاحِدَةً إلى بيت العزة، إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فِي لَيْلَةِ القَدْرِ»(٣) وهي خير من ألف شهر، أي: العمل فيها خير من العمل في ألف شهر، وهي ليلة مباركة، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾[الدخان: ٣].

وهي ليلة تتنزل فيها الملائكة بالخيرات، كما قال تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ﴾ [القدر: ٤] وهي اللَّيلة الَّتي يجري فيها التقدير السنوي كما قال تعالى: ﴿ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ﴾[الدخان: ٤] وهي ليلة سلام كلّها، كما قال تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ﴾ [القدر: ٥] فهذه اللَّيلة العظيمة بخيراتها وبركاتها هي من جملة خصائص شهر رمضان المبارك.

ومن خصائصه الَّتي بيَّنها ﷺ في هذا الحديث: افتراض صيام نهاره واستحباب قيام ليله، فصيام نهاره أحد أركان الإسلام، فامتاز على غيره باشتماله على أحد أركان الإسلام، واشتمال ليله على صلاة التَّراويح الَّتي هي من آكد السُّنن، ولا تشرع في غيره من الشُّهور.

ومن الخصائص الَّتي بيَّنها هذا الحديث لهذا الشَّهر المبارك: كثرة مضاعفة الحسنات فيه، فالسُّنن تكون فيه بمنزلة الفرائض في الأجر، والفريضة الواحدة تعادل في الأجر سبعين فريضة في غيره، لم يرد مثل هذا التَّضعيف في غيره من الشُّهور.

(٣)أخرجه النسائي في الكبرى برقم(١١٦٨٩) والحاكم وصححه ووافقه الذهبي(٢٨٧٨).

ومن خصائصه: أنَّه شهر الصَّبر، أي: حبس النَّفس عن شهواتها بالصِّيام، وتحملّها مشقة الطَّاعة، والبُعد عن مألوفها، والصَّبر من أشقِّ الطَّاعات على النُّفوس، ولهذا صار ثوابه الجنَّة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[الزمر: ١٠] .

ومن خصائص هذا الشَّهر: أنَّه شهر الجود من البارئ جلَّ وعلا على عباده بالمغفرة، والإعتاق من النار، والجود من العباد بعضهم على بعض بالمواساة وإطعام الجائع، وسقي الظمآن، وتفطير الصَّائم والرفق بالمملوك.

ومن خصائصه: أنَّه شهر التَّراحم بين العباد، ونزول الرَّحمة من الرَّحمن، فالغني يرحم الفقير، والقوي يرحم الضعيف، والمالك يرحم المملوك، والراحمون يرحمهم الرحمن.

ومن خصائص هذا الشهر: تنوع الخيرات فيه، فأوَّله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النَّار.

عباد الله، جدير بشهر هذه أوصافه وخصائصه أن يُفرح بقدومه؛ ولهذا كان النَّبي ﷺ يدعو الله أن يبلغه رمضان، فكان ﷺ إذا دخل شهر رجب قال: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي رَجَبٍ وَشَعْبَانَ، وَبَلِّغْنَا رَمَضَانَ**»[٤]، وكان السَّلف الصَّالح يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان، ثُمَّ يدعونه ستة أشهر أن يتقبل منهم رمضان، وذلك لما يعلمونه فيه من الخيرات، وما يعلمونه فيه من الطَّاعات.

اللَّهم بلغنا رمضان، وأعنَّا على الطَّاعة في رمضان، وتقبَّل منَّا رمضان أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[البقرة: ١٨٣ - ١٨٥].



(٤) سبق تخريجه.